

المضامين الإسلامية في شعر حسان بن ثابت

م.د. أحمد حاتم حامد سعود

المديرية العامة لتربية محافظة الأنبار

JournalofStudies 2019@gmail.com

الملخص:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. لعل سبب اختياري لهذا الموضوع هو الحاجة إلى التعرف على شاعر عاش في عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام وترك ناتجاً شعرياً يستحق أن نتعرف علية ونقف على صدهد ولكثرة ما ترك من شعر فلقد رأيت أن أقف على شعره في صدر الإسلام ونتعرف من خلاله على الملامح العامة والخاصة وأثر الإسلام على شعره. فقد علقت بكتابة هذا البحث على سيرة حسان بن ثابت وشعره في الإسلام ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة. المبحث الأول فقد تناولت فيه مقتطفات من سيرته وحياته، اسمه، ونسبه، وكنيته، مكانته في قومه، ووفاته. وفي المبحث الثاني تكلمت عن المضمون الإسلامي في شعره في المدح والفخر والهجاء والثناء. وفي المبحث الثالث تكلمت عن التحولات الفكرية في شعر حسان بن ثابت التحول الثقافي، التحول الفكر الاجتماعي، التحول السياسي والقول الديني. الكلمات المفتاحية: (المضامين الإسلامية، الشعر، حسان بن ثابت).

Islamic implications in the poetry of Hassan bin Thabet dr. Ahmed Hatem Hamed Saud The General Directorate of Education in Anbar

Abstract:

Praise be to God, Lord of the worlds, and the best prayer and peace be upon our master Muhammad and all his family and companions. Perhaps the reason for my choice of this topic is the need to get to know a poet who lived in the pre-Islamic era and the era of early Islam, and left a poetic product that deserves to be known and we stand against it, and for the large number of poetry he left. And the special and the impact of Islam on his poetry. I commented by writing this research on the biography of Hassan bin Thabit and his poetry in Islam. This research consists of an introduction, a preface, three sections and a conclusion.

The first topic has included excerpts from his biography and life, his name, lineage, nickname, his position in his people, and his death. In the second topic, I talked about the Islamic content in his poetry in praise, pride, satire and lamentation.

In the third topic, I talked about intellectual transformations in Hassan bin Thabit's poetry, cultural transformation, social thought transformation, political transformation and religious speech.

Keywords: (Islamic contents, poetry, Hassan bin Thabet).

المبحث الأول

حياة حسان بن ثابت الأنصاري

أولاً: اسمه ونسبه:

وهو (حسان بن ثابت بن المنذر)^(١) بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار^(٢) بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ثعلبة وهو العنقاء بن عمرو وعمرو وهو مزيقاء بن عامر بن ماء السماء بن حارث الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب. (وينتهي نسبه إلى قحطان)^(٣).

أما أمه: فهي (الغريمة بنت خنيس)^(٤) ابنة خالد بن قيس بن لؤذان بن عبدود بن زيد بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن خزرج^(٥)، وكانت خزرجية أيضاً فهو خزرجي الأب والأم وقيل أدركت الإسلام وأسلمت^(٦).

ثانياً: كنيته:

أما كنيته: فقد اختلفت المصادر حولها فقد أشار بعضها إلى كنية واحدة وهي أبو الوليد^(٧). بينما أشارت مصادر أخرى إلى الكنيتين لحسان هما أبو الوليد وأبو عبد الرحمن^(٨). بينما تذكر مصادر أخرى أبو الوليد وأبو الحسام^(٩). والحسام لمنازلته عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولتقطيعه أعراض المشركين.

ثالثاً: مكانته في قومه:

كان لحسان بن ثابت مكانتان في قومه الأولى مكانة العز والشرف، كان أبوه ثابت بن المنذر، وجده المنذر من أشرف قومهما والحكماء بين الأوس والخزرج وكان جده ممن أصلح بين الأوس والخزرج وحمل ديانات قومه بعد حرب يوم سميعه^(١٠).

أما مكانته الثانية فهي: كان شاعر قومه وعليه عبء الدفاع عنهم وإذاعة مفاخرهم والتهويل من شأنهم والتهوين شأن أعدائهم فنهض بالعبء وخاض غمار الشعر حول هذه المعركة حتى لا نكاد نرى جانبه شاعراً خزرجياً آخر.

وأبلى في هذا الميدان بلاء حسناً وهجاً وفخر في موقعه ووقف لشعراء الأوس بالمرصاد واشتبك معهم، اشتباكاً عنيفاً وأصابهم ونازل منهم^(١١).

ويقول في قومه:

قَوْمِي بَنُو النَّجَّارِ رَفْدُهُمْ حَسَنٌ، وَهُمْ لِي حَاضِرُ النَّصْرِ
المَوْتُ دُونِي لَسْتُ مَهْتَضَمًا وَذَوُو الْمَكَارِمِ مِنْ بَنِي عَمْرٍو^(١٢)

رفدهم عطائهم وقولهم وهي لي حاضرو النصر، أي أنني إذا استتصرتهم ذوي
المكارم من بني عمرو يعولون دون ذلك وكذلك يعولون دون هلاكي لمكانهم من النجدة
والشجاعة.

وكما اضطرته الأحوال والأعراف السائدة يومئذ أن يدافع عن قومه ويرد على
خصومهم فكان كالوردة بين الأشواك والريحانة بين الأدغال^(١٣).

وهذا لقول لا يحمل على الظن بأن سيف حسان كان له في هذه الحروب
مجال.

فهو يقول:

لِسَانِي وَسَيْفِي صَارِمَانِ كِلَاهُمَا وَيَبْلُغُ مَا لَا يَبْلُغُ السَيْفُ مَذُودِي
وَإِنِّي لِيدْعُونِي النَّدَى ، فَأَجِيبُهُ وَأُضْرِبُ بِيضَ الْعَارِضِ الْمَتَوَقِّدِ^(١٤)

فنراه يفخر بسيفه ولسانه ويذكر أن لسانه يبلغ في الأعداء ما لا يبلغ سيفه،
ومهما يكن من أمر فإن حسان قد أدى واجبه لقومه كاملاً، واختار لذلك طريقاً رأى أنه
أكثر نفعاً لهم، وأبلغ أثراً، وقد كان حسان محباً لقومه، معتزاً بهم، غيوراً عليهم، عضوباً
لهم، مدافعاً عنهم، وهجا أعدائهم من مزينة وجذام، وبلغ من عصبته لهم أن طلق
زوجته - عمرة الأوشية - وكانت أثيرة عنده لأنها فخرت عليه بقومها، وعيرته أخواله،
وبقى كل منهما بعد ذلك يساوره الندم وتعاوده الحسرات. وكان يعرف ما لقومه فيه من
أمل عريض، وترجم عنه قوله^(١٥):

وظَنُّهُمْ بِي أَنَّنِي لِعَشِيرَتِي عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ حَامٍ وَذَائِدٍ
فَإِنْ لَمْ أَحَقِّقْ ظَنَّهُمْ بَتِّيَقُنْ فَلَا سَقَتِ الْأَوْصَالِ مِنِّي الرَّوَاعِدُ

وقد عرف قومه له ولييته الفضل، فبادلهم بإحسان سودتهم العشيرة وحمتهم.

رابعًا: وفاته:

وقيل توفي حسان قبل الأربعين في خلافة علي (رضي الله عنه)، وقيل سنة خمسين، وقيل سنة أربع وخمسين^(١٦).

وقيل توفي سنة أربع وخمسين للهجرة، في عهد معاوية بن أبي سفيان^(١٧). وهو ابن مئة وعشرون سنة، لم يختلفوا في عمره وأنه عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام وكذلك عاش كل منهم مئة وعشرين سنة غيرهم^(١٨). قال ابن سعد: (عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام)^(١٩).

المبحث الثاني

المضمون الإسلامي في شعر حسان بن ثابت

أولاً: المضمون:

المضمون لغةً هو من (ضمنت الشيء وبه ضمناً وضماناً كفل به.. وفلان ضامن.. كافل وكفيل)^(٢٠)، أما الزمخشري فقد بين لنا المضمون بأنه (كل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه)^(٢١)، أي: هو احتواء الشيء في وعاء يحويه فهو ضمن فيه هذا ما وضعه ابن فارس بقوله: (جعل الشيء في شيء يحويه... ضمننت الشيء إذا جعلته في وعاء)^(٢٢)، ويمكن أن نطلق على هذا النوع من المضامين بالمضامين المادية، إذ لا يوجد هناك مضمون معنوي ما أخرجه لنا الرازي في معجمه من خلال فهمه لمضمون الكتاب إذ يقول: (فهمت ما تضمنه كتابك، أي: ما اشتمل عليه وكان في ضمنه)^(٢٣).

ومن خلال ما بيناه من تعريفات للمضمون نلاحظ بأن هناك مضموناً مادياً وآخر معنوياً، إذ يمكن القول بأن المضمون في اللغة هو المحتوى المتضمن من الجنس المذكور سواء كان مادياً أو معنوياً، وبهذا يكون المضمون التراثي في الأدب هو كل ما احتواه من تراث بكل أشكاله سواء بالرمز أو الإشارة أو التلميح أو بالتصحيح أو بالتصريح أو بغيرها^(٢٤).

المضمون اصطلاحًا:

وهو (بأنه المعاني والخواطر التي ترمز لها بالألفاظ والصيغ الأدبية)^(٢٥) أو (الأفكار والمعاني وما يكتف الأثر من عواطف وأخيلة وحالات نفسية وعقل)^(٢٦)، وهو عند أهل الفلسفة (علاقة منطقية تبين أن قضية ما تتضمن قضية أخرى)^(٢٧)، ونلاحظ في التعريف الاصطلاحي للمضمون بجميع نواحيه ينص على احتواء الأمور المعنوية من أفكار ومعاني وأخيلة تجسيدها بألفاظ ترمز إلى هذه المعاني^(٢٨) وتوظيفها في النص الشعري الذي هو محور دراستنا^(٢٩).

أشعاره في الدعة الإسلامية:

إن من يتابع شعر حسان الإسلامي يجد أن لحسان أغراضًا شعرية كما كانت موجودة في الجاهلية سوى أنه أوقف مدحه على الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقصر هجاءه على المشركين^(٣٠). غير أن بعض الباحثين قالوا فلما جاء الإسلام أبطل من شعره وصف الخمر^(٣١) وكذلك وصف أنه شاعر فحل في الجاهلية والإسلام وهو في الجاهلية أشعر منه في الإسلام^(٣٢) حين يرى نقاد غلبة السهولة على إسلامياته^(٣٣). في حين يقول الأصمعي (الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل في الخير ضعف ولان، هذا حسان فحل من فحولة الجاهلية فلما دخل الإسلام سقط شعره^(٣٤)) ومن يطلع على شعر حسان الإسلامي يجده قد تأثر بأساليب القرآن الكريم بدخول الكثير من الألفاظ والتعابير الإسلامية والاقتباس^(٣٥).

ثانيًا: المديح:

اتصل حسان في الجاهلية بآل جفنة من بني غسان في الشام، فكان يعقد في المدينة عامًا، ويفد إليهم عامًا، فيكرمون وقادته، ويمدحهم بغزير قصائده، ومن ذلك مدحه لعمر بن الحارث العساني:

يَوْمًا بَخْلَقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ	لِلَّهِ دَرَّ عِصَابَةً نَادَمَتْهُمْ،
ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصِلِ	الضَّارِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرِقُ بِيضُهُ،
وَالْمُنْعَمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُزْمِلِ	وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيَهُمْ،

ومدح جلبة بن الأيهم بقصيدته:

لَمَنِ الدَّارُ أَوْحِشَتْ بِمَعَانٍ، بَيْنَ أَعْلَى الْيَزْمُوكِ، فَالْخَمَانِ
ذَاكَ مَغْنَى مِنْ آلِ جَفْنَةٍ فِي الدَّهْرِ، رَ، وَحَقُّ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ
قَدْ أَرَانِي هُنَاكَ، حَقٌّ مَكِينٌ، عِنْدَ ذِي التَّاجِ مَجْلِسِي وَمَكَانِي

أي أن شعر حسان في الجاهلية كان شعراً تكسبياً.

أما في الإسلام تميزت ملامحه بالصدق والإخلاص، وقد مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخلفاءه وصحابته وحواريه، وفرسان المسلمين وشجاعتهم. وأكثر مدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) جاء متصلاً بغيره من أغراض الشعر كالهجاء والرتاء والفخر والرد على الوفود وكان يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتغلب عليه الصيغة المدنية^(٣٦)، ويقول:

شَهِدْتُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عَلٍ
وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهِمَا لَهُ عَمَلٌ فِي دِينِهِ مُتَقَبَّلٌ

حين انتقل حسان من مادية ظلماء جاسية، إلى روحانية مشرقة منيرة أي أنه أصبح شاعر عقيدة لا يتكلم إلا بها، ولا يصدر إلا عنها ولا يعمل ويجاهد إلا لها، ولا يعتز إلا بها.

وأخذ يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين^(٣٧). وأن قلبه تعلق بالرسول (صلى الله عليه وسلم) وأحبه حباً فاق حد العشق، ومدائح حسان للرسول (صلى الله عليه وسلم) فيها الكثير من الحب المتأجج، ويقول:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خَلَقْتَ مَبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ خَلَقْتَ كَمَا تَشَاءُ

وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يبتشد حسان في مدحه، ومدح الصحابة، وقيل أن قوم نالوا من أبي بكر (رضي الله عنه) بالأسنتهم، بلغ ذلك الرسول

(صلى الله عليه وسلم) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال (أيها الناس، ليس أحد منكم آمن علي من ذات يده ونفسه من أبي بكر كلكم قال لي كذبت، وقال لي أبو بكر صدقت فلو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ثم التفت إلى حسان فقال هات ما قلت فيّ وفي أبي بكر يا حسان)^(٣٨).
فقال حسان^(٣٩):

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة، فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
التالي الثاني المحمود مشهده، وأول الناس طراً صدق الرسل
والثاني اثنين في الغار المنيف، وطاف العدو به إذ صعد الجبل
وكان حب رسول الله قد علموا، من البرية لم يعدل به رجلاً
خير البرية أبقاها وأزفها، بعد النبي، وأوفاها بما حملاً
فقال (صلى الله عليه وسلم) صدقت يا حسان دعوا لي صاحبي قالها ثلاثاً^(٤٠)
سبق حسان الشعراء في المدائح النبوية وتأثروا به. وما يزال يفضلهم بقوله:

ما أن مدحتُ محمدًا بمقالتي لكن مدحتُ مقالتي بمحمدٍ
وهكذا أترك حسان في مدائح للشعراء ما يحلو لهم تريده والتزم به كلما ذكر
الرسول (صلى الله عليه وسلم) في شعرهم ومن الصيغ الإسلامية الماثلة في مدائح
حسان للنبي (صلى الله عليه وسلم) ما تأثر فيه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٤١).

قال حسان:

صلى الإله ومن يحقُّ بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

وقال في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم):

أعز، عليه للنبوّة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه، إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشقّ له من اسمه ليجله،
نبيّ أتانا بعدَ يأسٍ وفترةٍ
فأمسى سراجاً مُستنيراً وهادياً،
وأنذرنا ناراً، وبشرَ جنةً ،
فدو العرشِ محمودٌ، وهذا محمدُ
من الرسلِ، والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
يلُوح كما لاح الصقيلُ المَهْدُ
وعلمنا الإسلامَ، فاللهُ نحمدُ^(٤٢)

فقد وصف حسان النبي (صلى الله عليه وسلم) بكريم الأفعال، أبيض الوجه وخاتم من الله وطابع النبوة يلوح ويشاهد، وضم عز وجل اسم النبي إلى اسمه وذلك أن المؤذن في كل صلاة من الصوات الخمس ينطق الشهادتين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فدو العرش محمود وهذا محمد بيان لقوله وشق له من اسمه وأن النبي أتانا من بعد يأسٍ وفترة. والفترة ما بين كل رسول، والأوثان التي كانت تصنع من الخشب أو الحجارة وكانت العرب تعبدها، وأمسى سراجاً منيراً فهو النبي (صلى الله عليه وسلم) يهدي به في الظلم، ويلمع كالسيف الصقيل، وأنذرنا من النار وعلمنا الإسلام فنحمد الله على ذلك.

ووصفت السيدة عائشة (رضي الله عنها) الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال:
(كان والله كما قال حسان):

متى بيدُ في الداجي البهيم جبينه
فمن كان أو من يكون كأحمد
يُخْ مثل مصباح الدجى المتوقّد
نظامٌ لحقّ، أو نكالٌ لمُحدٍ^(٤٣)

وقول حسان متى بيد في الليل جنبه يلح أي يلح مثل القمر ومن كان يكون كأحمد. مثل النبي (صلى الله عليه وسلم) نظام الأمور ونكل كل جزم. وكان حسان ممن خاض في حديث الإفك الكاذب على أم المؤمنين - السيدة عائشة - (رضي الله عنها) ونراه براءته من القول الآثم بأشعار يمدحها بها مدحاً رائعاً، ويقول:

حصانٌ رزانٌ ما تزُنُ بريبةً ،
حليلةٌ خير الناسِ ديناً ومنصباً،
وثُصْبُحُ عَرْنَى من لحوم الغوافِلِ
عقيلةٌ حيٌّ من لؤيِّ بنِ غالبٍ،
نبيُّ الهدى ، والمكرماتِ الفواضِلِ
كرام المساعي، مجدها غير زائلٍ

مهذبةٌ قد طيبَ اللهَ خيمها، وظهرها من كلِّ سوءٍ وباطلٍ^(٤٤)
فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ، فلا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلِي
وإنَّ الذي قد قيلَ ليسَ بلائطٍ بها الدهرُ بل قولُ امرئٍ بي ماحلٍ
فكيفَ وودِّي ما حييتُ ونُصرتي لآلِ نبيِّ اللهِ زينِ المحافلِ
لَهُ رتبٌ عالٍ على الناسِ كلهمُ، تقاصرُ عنه سورةُ المتطاولِ
رأيتك، وليغفرَ لكِ اللهُ، حرةً منَ المُحصناتِ غيرَ ذاتِ غوائلِ

ولما بلغ قوله: (وتصبح غرثي من لحوم الغوافل)، قالت السيدة عائشة (رضي الله عنها): (لكنك يا حسان ما تصبح غرثان من لحومهن)^(٤٥).

مدح حسان فيها بأنها حصان عفيفة ملازمة موضعها لا تتصرف كثيراً وامرأة رزان ذات ثابت ووقار وعفاف، وأنها لا ترتع في أعراض الناس حليلة البشر، وزوجة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الدين والمنصب نبي الهدى والمكرمات. وكريمة ومهذبة. صافية مخلصة وطيب الله أصلها. وأن الكلام الذي قيل فيها ليس بلاحق بها. وقال يمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم):

واللهِ ربي لا نفارقُ ماجداً، عَفَّ الْخَلِيقَةِ ، ماجدَ الأجدادِ
متكرماً يدعو إلى ربِّ العلى ، بذلَ النصيحةِ رافعَ الأعمادِ
مثلَ الهلالِ مُباركاً، ذا رَحمةٍ ، سَمَحَ الْخَلِيقَةِ ، طَيِّبَ الأَعْوَادِ

وقوله: عف الخليفة وسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) عفيف الخليفة، أي: الخلقة ويجود بالنصيحة عن طيب خاطر وهو الناصح الأمين، أي: رافع الأعماد، أي: رافع عماد غيره بنصيحته^(٤٦).

ثالثاً: الفخر:

فخره من أقوى شعره، ولا سيما فخره بالأنصار في اشتبأكاته الإسلامية مع شعراء قريش، وقد فخر بنفسه وفصاحة لسانه وصيرورة شعره^(٤٧).

ويقول:

لساني صارم لا عيب فيه، وبَحْرِي لا تُكْدِرُهُ الدَّلاءُ^(٤٨)

فهو يفخر بلسانه كالسيف الصارم القاطع السنة الأعداء، ويفخر بدفاعه عن الدعوة، ويقول يفخر بشعره وأعلام أسرته:

مَنْ لِلْقَوافي بَعْدَ حَسانَ وابْنِهِ، وَمَنْ لِلْمَثاني بَعْدَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ^(٤٩)

وكما أن الإسلام لم يغير من طبيعة هذا الشاعر الفخور بقومه ومن فخره الجماعي بقومه أنه كان شديد التعجب إلى قومه والاعتزاز بهم وكذلك اتسع في العصر الإسلامي في ذلك حيث مزج بإظهار نصرتهم للرسول (صلى الله عليه وسلم).

حيث قال^(٥٠):

قومي الذين هم آووا نبيهم	وصدقوه وأهل الأرض كفار
إلا خصائص أقوام هم سلف	للمصالحين من الأنصار أنصار
مستبشرين بقسم الله قولهم	لما أتاهم كريم الأصل مختار
أهلاً وسهلاً أمن وفي وسعة	نعم النبي ونعم القسم والجار

فهو يفخر بقومه الذين آووا نبيهم وصدقوا به وأهل الأرض كذبوه وكفروا بدينه.

قصر حسان للإسلام كل شهوة في نفسه وتلك هي شهوة الفخر بأبائه وحس بالفخر بنفسه وبهم، في أربع عشر من قصائد فخر الإسلام التي بلغت أربعاً وثلاثين عدداً، ويفخر حسان بأفعال قومه في الإسلام، ومن حسن بلائهم بالدفاع عنه، وما قدموه في سبيل الله ورسوله ونصر وتأييد واعتزاز الدين^(٥١).

قال في قصيدة أخرى:

كنا ملوك الناس، قبل محمد فلما أتى الإسلام، كان لنا الفضل
فهو يفخر بقومه بأن كان له الفضل بأنهم آووا الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(٥٢).

وقال:

اللَّهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ، وَبَنَّا أَعَزَّ نَبِيَّهُ وَكِتَابَهُ،
وَبَنَّا أَقَامَ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ وَأَعَزَّنَا بِالضَّرْبِ وَالْإِقْدَامِ
فِي كُلِّ مَعْرَكٍ تَطِيرُ سَيُوفُنَا فِيهِ الْجَمَاجِمُ عَنْ فَرَاخِ الْهَامِ
يَنْتَابُنَا جَبْرِيلُ فِي أَبْيَاتِنَا، بِفَرَائِضِ الْإِسْلَامِ، وَالْأَحْكَامِ
فهو أيضاً يفخر بقومه بأنهم أقاموا دعائم الإسلام وبهم أعز نبيهم وكتابه^(٥٣).
ثم يفخر باستشهاد أخيه أوس بن ثابت في أحد، كما يفخر بحفظه حق الجار أمانة في عنقه حيث قال:

وَمِنَّا قَتِيلُ الشَّعْبِ أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ، شَهِيداً، وَأَسْنَى الذِّكْرِ مِنْهُ الْمَشَاهِدُ
وَمِنْ جَدِّهِ الْأَدْنَى أَبِي، وَابْنُ أُمِّهِ لَأَمْ أَبِي ذَاكَ الشَّهِيدُ الْمَجَاهِدُ
فَمَا أَحَدٌ مِنَّا بِمَهْدٍ لَجَارِهِ أَذَاةٌ، وَلَا مُزِرٌ بِهِ، وَهُوَ عَائِدُ
لَأَنَّا نَرَى حَقَّ الْجَوَارِ أَمَانَةً، وَيَحْفَظُهُ مِنَّا الْكَرِيمُ الْمَعَاهِدُ^(٥٤)

وقال حسان بن ثابت في يوم أحد يرد على عبد الله بن الزبيري:
ذَهَبَتْ بَابِنِ الزَّبَعْرِ وَقَعَةٌ، كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ

أيدوا جبريلَ نصرًا، فنزل	برجالٍ لستم أمثالهم،
طاعةَ الله، وتصديقَ الرُّسل	وعَلَّوْنَا يَوْمَ بَدْرٍ بالتَّقَى ،
وقَتَّلْنَا كُلَّ جَحْجَاحٍ رَفِلَ	وقَتَّلْنَا كُلَّ رَأْسٍ مِنْهُمْ،
يَوْمَ بَدْرٍ، وأَحَادِيثَ مِثْلَ	وترَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً ،
يوم بدر والتنايل الهبل	ورسول الله حقًا شاهد
مثل ما يجمع في الخصبِ الهمل	في قريش من مجموع جمعوا
نحن في البأسِ إذا البأسُ نزل ^(٥٥)	نحنُ لا أنتم، بني أسنَاهِها،

أجاب حسان بن ثابت بأن الموقعة التي تحدث عنها ابن الزبيري وطبل لها كان الفضل فيها يعود للمسلمين، حين خالفوا الأوامر التي صدرت عن الرسول (صلى الله عليه وسلم). ثم وصف أولئك الرجال المقاتلين المسلمين الذين أيدهم الله بجبريل فنزل يشاركهم القتال، وأورد حسان (يوم بدر) مذكرًا كيف انتصر المسلمون فيه بالتقى واعتزازهم بطاعة الله تعالى وتصديقهم الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وبقى يفخر بسطوة جيش المسلمين يوم بدر، وتفريق جمع قريش كما تفرق الإبل المهملة في الرعي دون الراعي، ويفخر برجال شجعان قتلوا رجال حول العدو، وفخر بأن قتل قريش لم يكونوا من ضعفاء قريش بل أنهم كانوا من ساداتهم الأشراف الأمجاد، ويقول حسان بأنهم حين أعلوا بصوتهم الكاذب يقول في ذلك أبو سفيان (أعل هبل) أعاب عليهم ذلك بعدم صبرهم يوم البأس فأنهم لا يصلحون للنزال^(٥٦).

وكان وفد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفد بني تميم سنة الوفود بعد فتح مكة، فيهم عطارد بن حاجب وقيس بن عاصم وقيس بن حارث ونعيم بن زيد وعتبة بن حصن والاقترع بن جابس في لفهم ولفيفهم، أن أخرج إلينا يا محمد، فقالوا: يا محمد، جئناك نفاخرك جئناك نفاخر فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: أذنت لخطيبكم فليقل، فقام عطارد بن حاجب فخطب ثم جلس، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) لثابت بن قيس: قم فأجب الرجل في خطبته فقام ثابت فخطب^(٥٧).

فقام الزريقان بن بدر التميمي فقال شعره ثم جلس، وكان حسان بن ثابت غائبًا فبعث إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال حسان فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه أنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم خرجت إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا أقول:

منعنا رسول الله، إذ حلَّ وسطنا،
على انفٍ راضٍ من معدٍ وراغمٍ
منعناه لما حلَّ وسطٌ بيوتنا،
بأسيافنا من كلِّ باغٍ وظالمٍ^(٥٨)

قال فلما انتهيت إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقام شاعر القوم فقال ما قال عرضت في قوله وقلت على نحو مما قال فلما فرغ الزريقان بن بدر من قوله قال رسول الله لحسان قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال، فقال حسان:

إنَّ الذوائبَ منْ فِهرٍ وإخوتهم
قد بينوا سنةً للناسِ تتبَعُ
يرِضى بها كُلُّ منْ كانتْ سريرتُهُ
تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شرعوا
أعطوا نبيَّ الهدى والبرِّ طاعتهم،
فما ونى نصرهم عنه وما نزَعُوا
إن قالَ سيروا أجدوا السيرَ جهدهم،
أو قالَ عوجوا علينا ساعةً، رِيعُوا
أكرمَ بقومِ رسولِ الله شيعتهم،
إذا تفرقتِ الأهواءُ والشَّيْعُ
أهدى لهمْ مدحي قومٌ يؤازرُهُ
فيما يُحبُّ لسانٌ حانِكٌ صنْعُ
فإنهمْ أفضلُ الأحياءِ كلهم،
إن جدَّ بالناسِ جدُّ القولِ أو شمعوا^(٥٩)

إن السادة من المهاجرين وإخوانهم من الأنصار، قد بينوا دين محمد (صلى الله عليه وسلم) بين الناس سنة تتبع، وإن هذه السنة يرضى بها كل من يخاف الله تعالى ويسير وفقًا لأصول الشريعة. إن هؤلاء القوم إذا ما حاربوا عدوهم وآخروه وأنفقوا منه في الحياة الدنيا.

وقال حسان بأن أولئك القوم المؤمنين قد أطاعوا نبي الهدى (صلى الله عليه وسلم) ونصروه وأخذوا بأوامره ونواهيه.

ثم فخر بأولئك القوم الذين رسول الله من شيعتهم، وحسان قد أهدى مدحه لهم من الذي يؤازره اللسان الحاذق وهم غير أحياء^(٦٠).

رابعًا: الهجاء:

نجد هجاء حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه) قد كرسه على المشركين وأعداء الدين^(٦١).

حين قام ثلاث رهط يهجون الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأنصار وهم عبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث وعمرو بن العاص ومعهم كثير من الشعراء، كما أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد حث الأنصار وهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك (رضوان الله عليهم) وكان أشد القول عليهم حسان وكعب؛ لأنهم يعبرون بالوقائع والمآثر والأيام.

وكان أهون القول عليهم قول عبد الله بن رواحة؛ لأنه يعيرهم بالكفر^(٦٢).
عن ابن المسيب قال: كان حسان بن ثابت في خلقة فيهم أبو هريرة، فقال: أنشدك الله يا أبا هريرة، هل سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: (أجب عني أيديك الله بروح القدس).

فقال: اللهم نعم.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (يا حسان أجب عني اللهم أيده بروح القدس)^(٦٣).

وعن ابن أبي الزائد عن أبيه عن عروة عن عائشة (رضي الله عنها) قالت كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يضع منبرًا في المسجد الشريف، يقول عليه قائمًا، ينافع عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ورسول الله يقول: (أن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم))^(٦٤).

ولما كان يوم الأحزاب قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (من يحمي أعراض المسلمين؟)، قال كعب بن مالك: أنا، وقال عبد الله بن رواحة: أنا، وقال حسان بن

ثابت: أنا، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): (نعم أهجم، أنت وسيعينك عليهم روح القدس)^(٦٥).

عن عروة قال سببت ابن فريعة عند السيدة عائشة (رضي الله عنها) فقالت: يا ابن أخي، أقسمت عليك لما كفت عنه، فإنه كان ينافع عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٦٦). كذلك نافع حسان وقاطع ألسنة المشركين عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستمر حسان في تغلبه النزعة الجاهلية فقد هجا قريش بالنقص من صفات المروءة، وبالمثالب الجاهلية وخمسة الأنساب، وبالكفر والشرك بالله^(٦٧).

من هجائه لقريش كيف كان يهجوهم ورسول الله منهم كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): (كيف تهجوهم وأنا منهم)، فقال حسان: والله لأسلنك منهم كما تسل الشعر من العجين، فقال له الرسول: (أنت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك)^(٦٨). وطريقة الهجاء، هو أنه ينفي نسب الذي يهجو من قريش وينسبه إلى نوع القبيلة البعيد البعيد أو إلى قبيلة أخرى^(٦٩).

يقول في هجاء بني عوف بن مناف:

سائل قريشاً وأحلافها	متى كان عوف لها يُنسبُ
أفيما مضى نسبٌ ثابتٌ	فيعلمُ أم دعوةٌ تكذبُ
فإن قريشاً ستنتفيكمُ	إلى نسبٍ، غيره أثقُبُ
إلى جذمٍ قَيْنٍ لئيمِ العُروِ	قِ عُرْقُوبٍ وَالِدِهِ أَصْهَبُ ^(٧٠)
إلى تَغْلِبٍ إنهم شرُّ جيلٍ،	فليسَ لكمُ غيرهم مذهبُ

فهذا حسان ينفي بني عوف من انتسابهم إلى تغلب، بل إنه ينسبهم إلى غير العرب؛ لأنَّ العرب يصفون صهب السبال^(٧١).

وحين بايع الأوس والخزرج النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم البيعة الثانية وبعد قيام قريش بأسره شهد بن عبادة الذي كان بين الأثنى عشر نقيباً وأفلت المنذر بن عمرو، وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب، وهو شاعر

قريش وفارسهما، فهو يشمت حين أمسك سعدًا وتمنى لو أنه أمسك بالمنذر الذي لو كان ناله لأسال جراحه^(٧٢).

فقال حسان بن ثابت يجيب ضرار: (وهو أول شعر قاله في الإسلام).
لست إلى سعدٍ، ولا المرء منذرٍ، إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا
فلا تكن كالوسنان يحلم أنه بقرية كسرى ، أو بقرية قيصر
ولا تك كالثكلى وكانت بمعزلٍ عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا
ولا تك كالشاة التي كان حتفها بحفر ذراعيها، فلم ترض محفرا
أتفخر بالكتان لما لبستته، وقد يلبس الأنباط ریطاً مقصراً^(٧٣)

إن قصيدة حسان فيها سخرية من الأماني الجاهلية لضرار حيث وصف حسان ضراراً بأنه ليس بأهل الشعر، في حين أن حسناً له.

وقال ضرار كحال من يهدي لتمر إلى أهل التمر ثم يناديه بالنائم الحاكم، ثم طلب منه ألا يكون كمن أعان على نفسه بسوء تدبيره، ولا يكون كالذئب يدل على مكانه بعوائه فيرميه الرامي بسهم قاتل.

وكان أبو سفيان بن الحارث وهو ابن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأخوه من الرضاعة يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبل إسلامه وكان يهاجم المسلمين ويهجوهم^(٧٤)، فيرد عليه حسان بن ثابت ومن ذلك لقوله في قصيدة مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء، إلى عذراء منزلها خلأ
ديار من بني الحساس قفر، تعفيها الروامس والسماء

إلى قوله:

هجوت محمداً، فأجبت عنه، وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوهُ، ولست له بكفء، فشرُّكما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً، براً، حنيفاً، أمين الله، شيمته الوفاء

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ، ويمدحه، وينصره سواء^(٧٥)

فهو بدء القصيدة بمقدمة طللية تقع في عشرة أبيات وقف وفق فيها على مواضع في بلاد الشام يبكي طلالها المقرة التي كانت أنيسة من قبل بأهلها...الخ.
فقد هجا حسان أبي سفيان هجاء شخصي يقول:
ألا أبلغ أبا سفيان عني، فأنت مجوفٌ نخبٌ هوا^(٧٦)

و(لكي يبرز شخصية أبي سفيان الخاوية من الفطنة والكيس ويجرده من جماعته التي يفخر بها)^(٧٧).

إن حسان بن ثابت يقابل صورة أبي سفيان الخاوية المحوة بصورة النبي (صلى الله عليه وسلم) البر الحنيف الوفي، ويقول بعفوية صادقة (فشركما لخير كما الفداء). فأبو سفيان فداء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونصره إذا تم من قبل المشركين فلا قيمة له أيضاً؛ لأنّه محاط (صلى الله عليه وسلم) بالمسلمين يفدونه بأموالهم وأعراضهم.

وهذا حسان نفسه يعلن في له، أنه يقي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بوالده وعرضه:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِزُّنِي لِعِزِّ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءَ

في هذه الأبيات التي فيه صوت حسان في هجاء ومدح استثيرت فيه عاطفته فأجاب بالتعبير عنها بصدق وعفوية.

(وقد تبرز المعاني الإسلامية في بعض أهاجيه لقريش كقوله من مقطوعة يعيرها بضريمتها يوم بدر)^(٧٨).

يقول:

وقد زعمتم بأن تحموا ذماركم، وماء بدر زعمتم غير مؤرود

مُسْتَعَصِمِينَ بِحَبْلِ غَيْرِ مُنْجِدٍ، مُسْتَحِمٌ مِنْ حَبَالِ اللَّهِ مَمْدُودٍ
فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتبعهُ حتى المماتِ، ونصرٌ غيرُ محدودٍ^(٧٩)

وهو يشير إلى البيت الثاني قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٨٠).
وقال أبو جهل:

لَقَدْ لَعَنَ الرَّحْمَنُ جَمْعًا يَقُودُهُمْ دَعَى بَنِي شَجْعٍ لِحَرْبِ مُحَمَّدٍ
مَشُومٌ، لَعِينٌ، كَانَ قَدَمًا مُبْعَضًا، يُبَيِّنُ فِيهِ اللَّوْمُ مَنْ كَانَ يَهْتَدِي^(٨١)

فقد بينت هذه الأبيات أن الله لعن القوم الذين حاربوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأن أبا جهل رجل مشؤوم على قومه جر الشؤم عليهم.

وقال أيضاً في هجاء الضاحك بن خلية الأشهلي في شأن بني قريضة. وكان أبو الضحاك منفقاً يقول:

أبلغ أبا الضحاك أن عروقه أعت على الإسلام أن تتمجدا
أُتُحِبُّ يَهْدَانِ الْحِجَازَ وَدِينَهُم كُذِّبَ الْحِمَارُ، وَلَا تُحِبُّ مُحَمَّدًا^(٨٢)
يقول حسان أن إسلامه لم يجده إذا لا يزال ينزغ إلى الكفر والعرق النزاع، ويقول: تحب اليهود دينهم كبد الحمار حيث وصف دين بكبد حمار، ولا تحب محمد (صلى الله عليه وسلم).

وقال يهجو بني سهم عمرو بن هصيص بن العاص وائل وأمه النابغة امرأة من عنزة.

أما ابنُ نابغةَ العبدُ الهجينُ، فقد أنحي عليه لساناً صارماً ذكراً
يا آل سهم، فإنّي قد نصحتُ لكم، لا أبعثن على الأحياء من قبرا
لولا النّبِيّ، وقولُ الحقِّ مغضبةٌ، لما تركتُ لكم أنثى ولا ذكراً^(٨٣)

فهو يصف عمرو بن العاص بعبد هجين، وقد أنحى عليه لسانه سبةً وأقذاع ولولا أن النبي منعه من الهجاء الفاحش لما ترك أنثى ولا ذكر.

وقال يهجو بني عدي بن كعب:

قَوْمٌ لِنَاثِمٍ أَقْلَصَ اللَّهُ خَيْرَهُمْ، كما تناثر، خلفَ الراكِبِ، البعُرُ^(٨٤)
قَدْ ابْرَزَ اللَّهُ قَوْلًا، فَوْقَ قَوْلِهِمْ، كما النجومُ تعالى فوقها القمرُ^(٨٥)

وقال لابن بكر بن عبد مناف من كنانة:

أَظَنَّتْ بَنُو بَكْرِ كِتَابَ مُحَمَّدٍ كَارِمَائِهَا مِنْ أَوْفَضِ وَرِصَافِ
لَأَنْتُمْ بِحَمْلِ الْمُخْرِيَاتِ وَجَمْعِهَا أَحَقُّ مَنْ أَنْ تَسْتَجْمَعُوا لِعِفَافِ
فَقَالُوا عَلَى خَطِّ النَّبِيِّ، فَأَصْبَحُوا أَثَامِي بِنَعْلِي بِغُضَّةٍ وَقِرَافِ^(٨٦)
فهو يقول أن بني بكر قد أرميت كتاب سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ويقول لستم أهلاً إلا للمخزيات وتجمعوا كما لا يعمل ويحمل، وتقولوا عليه وكذبوه، وقال يهجو عتبة بن أبي وقاص:

إِذَا اللَّهُ حَيًّا مَعْشَرًا بِفَعَالِهِمْ، وَنَصْرِهِمُ الرَّحْمَنَ رَبَّ الْمَشَارِقِ
فَأَخْزَاكَ رَبِّي، يَا عَتِيبَ بْنَ مَالِكٍ، وَلِقَاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاعِقِ
بَسَطْتَ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ بِرَمِيَّةٍ، فَأَمِيتَ فَاهُ، قَطَعْتَ بِالْبَوَارِقِ
فَهَلَّا حَشِيَّتَ اللَّهُ وَالْمُنْزَلَ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْهِ بَعْدَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ^(٨٧)
يريد بقوله كل قوم نصرهم الله بفعاله أي بكرمهم ونصرهم للنبي (صلى الله عليه وسلم) فأخزأك ربي فأهلك، رميت النبي (صلى الله عليه وسلم) قطعت يدك بالسيف، وقال يهجو أبا جهل:

سَمَاءُ مَعْشَرُهُ أَبَا حَكَمٍ، وَاللَّهُ سَمَاءُ أَبَا جَهْلٍ^(٨٨)

خامساً: الرثاء:

تكاد مراثي حسان تقتصر على إسلامياته فقد عاش مع المسلمين بعاطفته وروحه سجل بالشعر أحداثهم وببكي فيه موتاهم وشهادتهم ورثى شهداء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ورثى حمزة عم النبي وغيره من الصحابة^(٨٩). أما رثاؤه للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد عرف لحسان أكثر من جانب إذا الديار بخلاف الشعراء الذين يصفون الديار والأطلال ووصف اليقية الباقية التي كانت عفو وتنمحي بعد أن يغادرها الإنسان.

أما آثار النبي (صلى الله عليه وسلم) والديار التي كان يعيش فيها بقيت منيرة واضحة المعالم؛ لأنها كانت منارة فكر ومهد رسالة كما لا يمكن أن يصيبها القدم^(٩٠).

وقال حسان بن ثابت يرثي خبيب بن عدي الأنصاري:

ما بال عَيْنِكَ لا تَرَقًا مدامِغها، سَخًا على الصَّدْرِ، مَثَلُ اللُّوْلُو الفَلَقِ
على خَبِيبٍ، وفي الرحمنِ مصرعُهُ لا فُشْلَ حينَ تَلْقَاهُ ولا نَزَقِ
فاذهبْ خَبِيبُ، جَزَاكَ اللهُ طَيِّبَةً ، وَجَنَّةَ الخَلْدِ عِنْدَ الحَوْرِ في الرَفَقِ

وهو يقول ما بال العينين جفت وانقطعت مدامعها بالصب على الصدر مثل قطع اللؤلؤ الجميل مات في سبيل الله لكن جبن ولا طيش ولا رجل ضعيف ولا جبان ولا أحمق. جزاك الله الجنة الفردوس مع رفقاءك من الأنبياء الصالحين وحسن الرفيق^(٩١).

وكما مما بكى له أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

وقول حسان بن ثابت:

تَأْوَيْتِي لَيْلٌ بِيَثْرَبٍ أَعْسَرُ، وَهَمٌّ، إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ، مُسْنَهْرُ
لِذِكْرِي حَبِيبٍ هَيَّجَتْ ثُمَّ عَبْرَةٌ سَفُوحًا، وَأَسْبَابُ البُعَاءِ التَّدَكُّرُ
بلاءٌ، فَقْدَانُ الحَبِيبِ بَلِيَّةٌ ، وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ، ثُمَّ يَصْبِرُ

فَلَا يُبْعَدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمَوْتَةٍ ، مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ^(٩٢)

وقال حسان بن ثابت يبكي جعفر بن أبي الطيار (رضي الله عنه):
وَلَقَدْ بَكَيْتُ، وَعَزَّ مَهْلَكُ جَعْفَرٍ، حَبَّ النَّبِيِّ، عَلَى الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا
وَلَقَدْ جَزَعْتُ، وَقَلْتُ حِينَ نَعَيْتَ لِي: مِنْ لِلْجَلَادِ لَدَى الْعِقَابِ وَظَلْهَا
بَعْدَ ابْنِ فَاطِمَةَ الْمُبَارَكِ جَعْفَرٍ، خَيْرِ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا وَأَجَلَّهَا

وهو يبكي على جعفر محبوب النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٩٣).
وقال حسان في يوم مؤتة يبكي زيد بن حارث وعبد الله بن رواحة:
عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكِ الْمَنْزُورِ، وَاذْكُرِي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ
وَاذْكُرِي مُوْتَةً، وَمَا كَانَ فِيهَا، يَوْمَ وَلَوْ فِي وَقْعَةِ التَّغْوِيرِ
حِينَ وَلَوْ وَغَادَرُوا ثُمَّ زِيدًا، نِعَمَ مَأْوَى الضَّرِيكِ وَالْمَأْسُورِ
ثُمَّ جُودِي لِلْخَرْجِيِّ بِدَمْعٍ، سَيِّدًا كَانَ ثُمَّ غَيْرَ نَزُورِ^(٩٤)

فهو يأمر العين أن تجود بذلك القليل على ما هو عليه، واذكر مؤتة حين عاد منها عاد الجيش مهزوم، وقال أهل المدينة فرأوا فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (ليسوا بفرار ولكنهم كرار إن شاء الله)^(٩٥).

وقال حسان يبكي المطعم بن عدي حين مات، ويذكر سعيه في نقض الصحيفة وإجازته الرسول (صلى الله عليه وسلم) حتى طاف بالبيت، يقول:

أَيَا عَيْنٍ، فَأَبْكِي سَيِّدَ الْقَوْمِ، وَاسْفَحِي بِدَمْعٍ وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَ
وَبِكِي عَظِيمَ الْمَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِمَا عَلَى النَّاسِ، مَعْرُوفًا لَهُ مَا تَكَلَّمَا
أَجَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا عَيْدَكَ مَا لَبَّى مَهْلٍ، وَأَحْرَامًا^(٩٦)

وقال حسان بن ثابت أيضًا يبكي حمزة عم النبي (صلى الله عليه وسلم):
أَتَعْرِفُ الدَّارَ، عَفَا رَسْمُهَا، بَعْدَكَ، صَوْبَ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ

بين السرايح، فأدمانة ، فمدفع الروحاء في حائل
سألتها عن ذاك، فاستعجمت، لم تدر ما مرجوعة السائل
دع عنك داراً قد عفا رسمها، وابك على حمزة ذي النائل
الماليء الشيزي ، إذا أعصفت غرباء في ذي الشبم الماحل
التارك القرن لدى لبد، يعثر في ذي الخرص الذابل
واللبس الخيل إذا أحجمت، كالليث في غابته الباسل
أبيض في الذروة من هاشم، لم يمر دون الحق بالباطل
ما لشهيد بين أرماحكم، شلت يدا وحشي من قاتل
إن أمراً غودر في آلة مطرورة ، مارنة العامل^(٩٧)
أظلمت الأرض لفقدانه، واسود نور القمر الناصل
صلى عليك الله في جنة عالية ، مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حَزْلاً لنا من كل أمر نابتا نازل^(٩٨)

قوله: عفا رسمها بعدك صوب المسبل، أي: محى آثارها المطر، ويقول دع
عنك داراً محا أثرها وأبكى على حمزة العطاء أبيض بني هاشم ذو منزلة عالية ولا يدفع
حقاً بباطل ويدعو على وحشي شلت يداه، يدعو على وحشي بقطع اليد.

أما مراثيه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد أخذت طابعاً آخر، أنها تتل
حزناً حقيقياً لفقد النبي (صلى الله عليه وسلم) الموجه المسلمين جميعاً، والمرشد الموجه
لحسان نفسه، فقد عم المسلمين دقاً فقد ترك في نفس حسان فراغاً كبيراً حين كان
يجعل شعره شغله الشاغل بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فضلاً عن
وصفه الرائع عن الفراغ الذي أحس به المسلمون جميعاً، فموت النبي انقطاع الوحي
وحامل الرسالة^(٩٩).

ووصف حسان حالته وهو يقف على هذه الديار ويبكي الرسول (صلى الله
عليه وسلم) وانبعث من كل ذلك الروح الإسلامية ومن ذلك قوله:

بطيبةَ رسمٍ للرسولِ ومعهْدُ
ولا تنمحي الآياتُ من دارِ حرمةٍ
وواضحِ آياتٍ، وبَاقِي مَعَالِمٍ،
بها حجراتٌ كانَ ينزلُ وسطها
مَعَالِمٌ لم تطمسْ على العهدِ آيها
منيرٌ، وقد تغفو الرسومُ وتهمدُ
بها منبرُ الهادي الذي كانَ يصعدُ
وربعٌ له فيه مصلًى ومسجدُ
مِنَ الله نورٌ يُستضاءُ، ويوقدُ
أَتَاهَا البلى ، فالآيُ منها تجددُ^(١٠٠)

وإذا كان المسلمون قد غيبوا جسده الشريف في القبر فإنما يغيبون خلقاً عظيماً
من الحلم والعلم والرحمة ومن ثم فالحزن عام شامل لجميع المسلمين شهدته السماوات
والأرض ويقول:

لقد غَيَّبُوا حِلْماً وَعِلْماً وَرَحْمَةً ، عَشِيَّةَ علوه الثرى ، لا يوسدُ
وَرَاخُوا بخُزنٍ ليس فيهِمْ نَبِيُّهُمُ ، وَقَدْ وَهَنَتْ مِنْهُمُ ظُهُورٌ ، وأعضدُ
يَبْكُونَ من تبكي السمواتُ يومه ، ومن قد بكته الأرضُ فالناسُ أكمدُ^(١٠١)

ويستمر في رثاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول:
وَلَيْسَ هَوَائِي نازِعاً عَنْ ثَنَائِهِ ، لَعَلِّي بِهِ فِي جَنَّةِ الخُلْدِ أَخْلُدُ
مع المصطفى أرجو بذاك جواره ، وفي نيلِ ذاك اليومِ أسعى وأجهدُ^(١٠٢)

وهكذا يستمر حسان بن ثابت في قصائده الرثائية للرسول مؤكد نوازعه الثلاثية
(ألم شديد لفقد النبي، وشموخ خلقه وفعاله وخلود الرسالة التي حملها)^(١٠٣).

وقال يرثي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويبكيه، ويفضل لو أن يفنديه بأمه
وأبيه، ويذكر حادث وفاة يوم الاثنين، ويصف ما أصابه من تلبد وجزع، حيث يقول:

ما بالَ عَيْنِكَ لا تَنَامُ كَأَنَّمَا
جَزَعاً على المهدي، أصبحَ ثاوياً ،
كُحِلَتْ مَآقِيهَا بِكُحْلِ الأَرَمَدِ
يا خيرَ من وطىءَ الحصى لا تبعدِ
جنبي يقيك الترابَ لهفي ليتني
غُيِّبْتُ قَبْلَكَ في بَقِيعِ الغَرَدِ

بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهدي^(١٠٤)

وقال أيضاً يرثيه (صلى الله عليه وسلم):
آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مَجْتَهِدًا، مَنِ أَلِيَّةَ بَرٍّ، غَيْرِ إِفْنَادٍ
تَاللَّهِ مَا حَمَلْتُ أَثْنَى، وَلَا وَضَعْتُ مِثْلَ النَّبِيِّ، رَسُولِ الرَّحْمَةِ الْهَادِي

وقال في يوم دفن النبي (صلى الله عليه وسلم):
أَلَا دَفَنْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَفَطٍ مِنَ الْأَلْوَةِ وَالْكَافُورِ مَنْضُودٍ

وقال في رثاء عثمان بن عفان (رضي الله عنه):
مَاذَا أُرِدْتُمْ مِنْ أَخِي الْخَيْرِ بَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَيْمِ الْمُقَدَّدِ
فَلَا ظَفِرَتْ أَيْمَانُ قَوْمٍ تَظَاهَرَتْ عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ الرَّشِيدِ الْمَسْدُودِ^(١٠٥)

المبحث الثالث

التحويلات الفكرية في شعر حسان بن ثابت

أولاً: التحول الثقافي:

وبعد استقراء شعر حسان نلاحظ أن ثمة تحولاً في البنية الثقافية للشاعر، ودخول مصطلحات جديدة في تشكيل المعنى لديه، أو توظيف مصطلحات عرفت في لغة العرب في الجاهلية، ولكنها وظفت في دلالات إسلامية جديدة، ويقول في رثاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(١٠٦):

وَفَجَعْنَا فِيرُوزُ لَا دَرَّ دَرُهُ أَبْيِضَ يَتْلُو الْمُحْكَمَاتِ مُنِيبٌ

نلاحظ خصوصية توظيف المصطلح في قوله يتلو المحكمات، فالمحكمات هنا ترتبط بمفهوم إسلامي، جاء واصفاً بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُخَمِّكُنَّ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ (١٠٧)، وفي موضع آخر نلمس توظيف مصطلح جديد، لا عهد لهم به، وهو (الساعة) أحد أسماء يوم القيامة ، وذلك في قول حسان (١٠٨):

فَتَقُومُ سَاعَتَنَا، فَتُلْقَى طَيْبًا مَحْضًا ضَرَائِبُهُ كَرِيمَ الْمَخْتَدِّ

فهذا النوع من التحول الفكري، فالإيمان بالبعث ويوم الحساب بعد الموت يأتي تحت هذا المصطلح الإسلامي الجديد، ليصبح من المخزون الثقافي للشاعر، وسبيل الشاعر إلى هذه المصطلحات يتأتى من إدراكه لعدد من الآيات القرآنية الكريمة، كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١٢) (١٠٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِرُ بِقَرَفُونَ ﴾ (١٤) (١١٠). ومن هذه المصطلحات أيضاً (جنة الفردوس) في قول حسان (١١١):

في جنة الفردوس واكبها لنا يا ذا الجلال وذا الغلا والسؤدد

وقد ورد ذكر هذا المصطلح في القرآن الكريم غير مرة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (١٧) (١١٢)، وكذلك (جنة الخلد) و(الحرور) نساء الجنة، ووصف الملائكة في مشهد يوم القيامة في قوله: (١١٣)

فاذهب خبيب، جزاك الله طيبةً ، وجنة الخلد عند الحور في الرفق
ماذا تقولون، إن قال النبي لكم، حين الملائكة الأبرار في الأفق

فقد استقى هذه الصور وما حملت من المصطلحات جديدة من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ (٢٠) (١١٤)، وفي البيت الثاني يلتقي مع قوله تعالى: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴾ (١٧) (١١٥)،

ومثل ذلك أيضاً ذكره طعام أهل النار (الضريع) وتفيد أكثر الروايات أن هذا الطعام مما لا يعرفه العرب بهذا الاسم.

وإن قال بعضهم أنه نبات له شوك كبير ينبت فيا لحجاز، ويقال له: استبرق، ولكنه بهذا الاسم (الضريع) من الغيبيات ولم يعرفوه إلا في القرآن الكريم، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾^(١١٦)، وضمنه قول حسان بن ثابت في قوله:^(١١٧)

وَقَتْلَكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعاً، فِي جَوْفِهَا، وَضَرِيعٌ

كما طال التحول مفهوم بعض الأسماء، ذات الدلالة المعنوية، مثل (النفاق) من نفق التي عُرف لها معانٍ عدة في الجاهلية^(١١٨)، ويقول ابن منصور " هو إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستتر كفره ويظهر إيمانه، وأن أصله في اللغة معروفاً"^(١١٩)، وبهذا المعنى تكرر ورود اللفظ في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْذَرْتُمُوهُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(١٢٠)، وبهذا المعنى ورد أيضاً عند حسان في قوله:^(١٢١)

وَكَمْ رَدَدْنَا بِبَدْرٍ، دُونَ مَا طَلَبُوا، أَهْلَ النِّفَاقِ، وَفِينَا أَنْزَلَ الظُّفْرُ

ومثل ذلك لفظة (الوحي) فقد كانت تعني في الجاهلية الرمز والإشارة والإلهام^(١٢٢)، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم أيضاً، إلا أن المعنى الإسلامي دارت حوله الكلمة هو إطلاق الإلهام والوساطة التي تنزل بها الآيات القرآنية على الرسول (صلى الله عليه وسلم)^(١٢٣)، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْدُرُونَ﴾^(١٢٤)، وبهذا المعنى ورد في شعر حسان في قوله^(١٢٥):

تَقَطَّعَ فِيهِ مِنْزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ، وَقَدْ كَانَ ذَا نَوْرٍ، يَغُورُ وَيُنْجِدُ

وهناك بعض الأفعال ذات الدلالة المعنوية يوظفها الشاعر وفق ما جاءت في القرآن الكريم مثل فعل (ران) وهو في الأصل لما يغلب على العاقل، كقولهم: رانت عليه الخمر، أي: غلبت على عقله، أما عند الشاعر في قوله^(١٢٦):

عَلَى الشَّقَاءِ بِقَلْبِهِ، فَأَرَانَهُ فِي الْكُفْرِ آخِرَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ

فتعني أن الران قد غطى على قلبه، وركبه من القسوة، للذنب بعد الذنب، وهو ما يتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١٢٧)، ومثل ذلك لفظة شهيد وماهد في قوله^(١٢٨):

وَمِنَّا قَتِيلُ الشَّعْبِ أَوْسُ بْنُ ثَابِتٍ، شَهِيداً، وَأَسْنَى الذِّكْرِ مِنْهُ الْمَشَاهِدُ
وَمَنْ جَدُّهُ الْأَدْنَى أَبِي، وَابْنُ أُمِّهِ لَأَمْ أَبِي ذَاكَ الشَّهِيدُ الْمَجَاهِدُ

"واقترن الجهاد بلفظ الشهيد والشهداء، والشهادة في الأصل الحضور والإعلام، وكذا استعملت في العصر الجاهلي، مثل تطور معناها في العصر الإسلامي للدلالة على القتيل الذي يقتل في سبيل الله"^(١٢٩)، ونلاحظ التأثير الصيغي، حيث يشاكل الشاعر الصياغات القرآنية، فضلاً عن المعنى القرآني المضمن في الشعر في قوله^(١٣٠):

وَعَدُوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ، رَدُوا بِغَيْظِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ
بِهُبُوبٍ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ، وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ
وَكَفَى إِلَهَهُ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ وَأَثَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابٍ
مَنْ بَعْدَ مَا قَنَطُوا، فَفَرَّجَ عَنْهُمْ تَنْزِيلُ نَصِّ مَلِكِنَا الْوَهَابِ

فقوله: "وعدوا علينا قادرين" "وردوا بغيظهم" "وجنود ربك" كلها صيغ وتراكيب قرآنية تسهم في تشكيل البنية، فضلاً عن المعنى المتضمن من حيث الأحزاب، وهبوب الريح والهزيمة التي حلت بهم، مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ﴾^(١٣١)، وقوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى

اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿١٣٢﴾، وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾.

ثانيًا: تحولات الفكر الاجتماعي:

وربما مديح التحول في الرؤية الاجتماعية من أهم السمات التي تجلى فيها التحول الفكري، وصبغت شعر حسان بن ثابت الإسلامي، ويظهر ذلك جليًا في غرضي المديح والهجاء، أما المديح فلم نره في القصيدة الجاهلية إلا لسيد القبيلة، أو أحد العظماء الذين يرتجى نوالهم، كمدائحه الغساسنة^(١٣٤)، وهو يغيّر ما وجدناه في شعر حسان الإسلامي، إذ يمتدح من غير انتظار الجزاء، كما أنه جاء لأشخاص لا يوطرهم رابطة دم من ذلك قوله في رثاء أبي بكر^(١٣٥):

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ، فاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا
التالي الثاني المحمود مشهدهُ ، وأول الناس طراً صدقَ الرسلا
والثاني اثنين في الغار المنيف، وقد طاف العدو به إذ صعدَ الجبلا
وكان حبّ رسول الله قد علموا، من البرية لم يعدل به رجلا

وبنكشف التأثر بالعودة إلى النص الأصلي لهذه المعاني الواردة في الأبيات، فهي معانٍ نصت عليها الآيات القرآنية في حادثة الهجرة، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٣٦﴾﴾.

كما نلاحظ أن هذه المعاني مغايرة لتلك المعاني الجاهلية المختصة بغرض الرثاء، وأنها تأتي في تعالق اجتماعي قائم على أساس المحبة بين أفراد المجتمع وبنائته الجديدة، لم تعرفه الجاهلية.

ويظهر هذا التضامن الاجتماعي، والعطف والحنان من الرسول (عليه السلام) على أصحابه في موضع آخر من الديوان يقول^(١٣٧):

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَحْيِدُوا عَنْ الْهَدْيِ ، حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا
عُطُوفٌ عَلَيْهِمْ، لَا يَثْنِي جَنَاحَهُ إِلَى كَنْفٍ يَخْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ

فمع الحرص على الهداية يتصف بالعطف والحنو على أصحابه، ولم يكن الشاعر بهذا بعيداً عما ورد في القرآن الكريم، فيما يصف به الله - عز وجل - رسوله الأمين في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٣٨).

وثمة مفارقة يقدمها الشاعر في التعالق الاجتماعي، إذ إن الرأفة التي يتعامل بها الخليفة مقصورة على المؤمنين، في حين لا ينال منه الكفار إلا الغلظة والشدّة، يقول^(١٣٩):

رُؤُوفٌ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٌ عَلَى الْعَدَا أَخِي ثِقَةٌ فِي النَّائِبَاتِ نَجِيبٌ

وقد استوحي المعنى والصياغة من الآيات الكريمة التي تصور معاملة الرسول - عليه السلام - لصحابه الكرام، وفي قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١٤٠)، وأما الهجاء فإنه بني على أسس جديدة، فإذا كان الكرم من صفات الجاهلية الحميدة التي أثبتتها الإسلام، فإن ذلك لا يكفي، إذا كان صاحبه بعيداً عن

طريق الحق ومناوئًا للإسلام، فحسان يهجو أبا جهل، ولم يشفع له ما عرف به من كرم^(١٤١):

وإنَّ تَكْ مطعَامُ العشِيَّاتِ من غنى فإنَّك حياد عن الحق مانعُ
وزادك ذمٌّ في الحياة وإنَّ تَمَّتْ فحظك ركنٌ من جهنم واسعُ

فالتحول يبدو واضحًا في النظرة إلى هذه الخصلة مطلقة المديح في الجاهلية، كما تظهر نظرة الشاعر الإسلامية الكلية التي لا تقبل التجزئة؛ فعلى الرغم من تعنته للمهجو بصفة الكرم وتوظيف صيغة المبالغة في ذلك (مطعام)، فإن التحول يتكشف على أشده عندما ينسخ صفة المدح ليتحول إلى ذم وبصيغة المبالغة أيضًا (حياد) ويسبقها بالتوكيد (فإنَّك) فلم ينفع أبا جهل ما عرف عنه من سخاء في الجاهلية^(١٤٢).

وثمة تحول في النظرة إلى قيمة الغرض الشعري، فقد ساوى حسان بين مدح الكفار وذمهم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولم يتأت ذلك من النظر إلى المضامين الشعرية، وإنما جاء الدافع وراء ذلك الحكم من النظر إلى مصدر ذلك الشعر "لأنه صادر من عدو كافر يحمل صفة الكفر؛ والكفر هو شر بعينه، ولا يتحمل صدور الخير منه، لذلك استوت لديه هذه المتضادات"^(١٤٣).

ويبدو ذلك جليًا في خطاب حسان لأبي سفيان في قوله^(١٤٤):

هجوَتَ محمداً، فأجبتُ عنه، وعندَ اللهِ في ذاكِ الجزاءُ
أتَهْجُوهُ، وَلَسْتُ لَهُ بِكَفٍّ، فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِداءُ
هجوَتَ مباركاً، براً، حنيفاً، أمينَ اللهِ، شيمتُهُ الوفاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ، ويمدحه، وينصره سواءُ

وتتسحب النظرة الإسلامية على ملحظ آخر يتمثل في قضية الصدق والكذب في الإبداع، فلم تعد النظرة إلى الشعر على أن أعذب الشعر وأكذبه^(١٤٥)، وإنما تحولت

نقيض ذلك لتتوافق والنظرة الإسلامية؛ ليصبح أحسن الشعر - عند حسان - ما اتصف بالصدق، وذلك في قوله^(١٤٦):

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلهُ بيتٌ يُقالُ، إذا أنشدتهُ، صدَقا
ثالثًا: التحول السياسي:

في هذا التحول يتبدل أسلوب الخطاب، ونلاحظ الارتقاء في توظيف الضمائر من المفرد والجمع، وفي هذا المستوى أيضًا تبرز المغايرة؛ إذ لم يعد الضمير معبرًا عن العشيرة كما عهدناه قبل الإسلام في قوله^(١٤٧):

ومثلي أطاق، ولكنني أكلفُ نفسي الذي آدها
سأوتي العشيرة ما حاولتُ إليّ، وأكذبُ إيعادها
وأحملُ إنْ مغرمٌ نابها، وأضربُ بالسيفِ من كادها

ففي هذه الأبيات يظهر الضمير المفرد العائد على الشاعر سافرًا، ويبرز الانقياد المطلق للعشيرة، والتضحية في سبيلها، سواء كان ذلك المغرم المادي أو في القتال والدفاع عنها، أما بعد دخوله الإسلام، فيتبدل أسلوب الإرسال ومستواه، من ضمير مفرد إلى الجمع، ومن العشيرة يرتقي إلى مستوى الأمة التي تمتلك المقومات الجديدة، فتنبو القبيلة بوقفها، يقول مفاخرًا^(١٤٨):

ينتابنا جبريلُ في أبياتنا، بفرائض الإسلام، والأحكام
يتلو علينا النورَ فيها مُحكمًا، قسماً لعمرِكَ ليس كالأقسام
فنكونُ أولَ مستحلِّ حلاله، ومُحرِّمِ لله كلِّ حرام
نحنُ الخيارُ من البريةِ كلها، ونظامُها، وزِمَامُ كلِّ زِمَام

يبدأ الشاعر بالمقدمات التي تفضي به إلى النتيجة الكبرى، فالبيت الأول يعطي المسبب؛ حيث جبريل - عليه السلام - ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؛ ولكنه لم يذكر الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وإنما يأتي بالفعل المضارع الذي

يشي أولاً بالديمومة ديمومة النزول التي تعني دوام التواصل مع الله- عز وجل- بوساطة جبريل، ثم أن الفعل "الذي يتقدم جبريل اتصل بضمير الجمع وكأنه ينزوله على محمد- عليه السلام- أنما ينزل على كل بيت من الأمة، وتأكيداً لهذا المعنى ختم الشطر بقوله: (في أبياتنا) ثم يبدأ البيت الثاني بفعل مضارع أيضاً (يتلو) يتبعه ما يؤكد الجمع (علينا) فتأتي النتيجة الأولى، أو ما قبل الحكم الكلي، فيبدأ البيت الثالث بقوله: فتكون أول "فالفاعل" "تكون" يفيد الجمع يتلوه اسم يفيد التوحد المطلق في المشاركة هو "أول" وتعطي كلمة البيت الأعمال التي اشترك بها الجمع والتي تقضي إلى النتيجة الكبرى، ويتمكن الشاعر من الانطلاق بقوة في إصدار حكمه الذي يبدأ بإعلان الاندغام الكلي في الجمعي، ويخوله ذلك بافتتاح البيت بضمير الجمع "نحن" ونحن هذه تعني الأمة إذ يقابلها البرية التي تعني الكون والعالم، ولا يتوقف عند إصدار قرار الأفضلية على العالم، بل يجعل أمته في المقدمة والقيادة إذ "لم يعد فخر العربي بشجاعته وقوته مخصصاً لخدمة القبيلة والمجد الفردي، وإنما صار يصب في خدمة الأمة جميعاً، بعد أن أوضحت له عقيدته الإسلامية أن عز القبيلة من عز العرب، وأن المجد الذي يسعى إلى تحقيقه لقبيلته يبقى ناقصاً إذ بقيت القبائل العربية مجزأة ضعيفة"^(١٤٩)، ولم تكن هذه المعاني تتأتى للشاعر أو تدور في فكره قبل الإسلام، وقبل الارتشاف من معين القرآن الكريم، الذي حول فكرهم من نظام العشيرة إلى نظام أوسع يكون فيه التنافس والموازنة والخطاب للإنسانية والكون وفق معايير ومقاييس محددة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَعَمَلٌ الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾^(١٥٠).

ويستطرد الشاعر في غير موضع، يوظف ضمائر الجمع، من ذلك قوله^(١٥١):

وَكَمْ رَدَدْنَا بِبَدْرٍ، دُونَ مَا طَلَبُوا، أَهْلَ النِّفَاقِ، وَفِينَا أَنْزَلَ الظُّفْرُ
وَنَحْنُ جُنْدُكَ يَوْمَ النَّعْفِ مِنْ أَحَدٍ، إِذْ حَزَبْتَ بَطْراً أَشْيَاعَهَا مَضْرُ

فالفاعل "رد" في البيت الأول يتبعه الضمير المتصل "نا" الذي يعيد الفاعلية في معركة بدر للمسلمين، وكذلك الضمير المنفصل في البيت الثاني "نحن" التي يتبعها

الجمع "جند" المضافة إلى الكاف العائدة على الرسول - عليه السلام - وهنا ملحظ معنوي في البيت الأول، وهو أن المعركة لم تكن مع قريش وحدها، وإنما ثمة جبهة أخرى في البيت الأول أو مواجهة مع طرف آخر، وهو المنافقون، وا يخفى أمرهم فهم داخل صفوف الأمة الإسلامية، بمعنى آخر أن التصنيف هنا لم يعد عشائرياً، وإنما هو تصنيف عقدي، يرتبط بالصدق والانتماء والولاء للإسلام، ويستند حسان في هذه المعاني إلى ما ذكر الله - عز وجل - من أمر المسلمين في معركة بدر إذ يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَن تُمْسُونَ وَلَا يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوَّهَتْ سَوَّاهُمْ وَإِنْ نُصِبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ أَهْلِكَ ثُبُوءُ الْمُؤْمِنِينَ مُقْلَعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (١٥٢).

وبذا فإن "التطور المهم الذي حدث؛ هو أن الإسلام أراد لشاعر القبيلة أن يصير شاعر الأمة، فلم يهدد بهذا ذاتية الشاعر، بل أراد لها أن ترحب، فلا تعود محدودة بنطاق الأسرة والقبيلة" (١٥٣)، ومن هنا جاء ترديد الشاعر للاسم الجديد لقبيلته

الأنصار، الذي ضم فضلاً عن قبيلته- الخزرج- قبيلة الأوس، وبفاخر الشاعر بهذا الاسم كقوله^(١٥٤):

سماهم الله أنصاراً لنصرهم دين الهدى ، وعوان الحرب تستعز

ويبدو أن الحافز لهذا التفاخر يرتبط بشكل مباشر بسبب التسمية، وهو ما يظهر جلياً في بيت الشعر المذكور، وما كان لشاعر رسول الله- عليه الصلاة والسلام- أن يدعى ذلك لولا وروده في القرآن الكريم مباشرة، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١٥٥).

رابعاً: التحول الديني:

ولا شك في ان المحاور السابقة قد انضوت في مجملها تحت هذا المحور، ولكن الباحثين يرون أن بعض الأشعار ترتبط بالأمور الإيمانية الخالصة، كإعلانه الإيمان برسالة محمد- عليه الصلاة والسلام-، والرسالات السماوية السابقة، وما جاء به الرسل- عليهم السلام- ويخصص لها مقطوعة شعرية يقول فيها^(١٥٦):

شهدتُ، بإذن الله، أن محمداً رسولُ الذي فوقَ السماواتِ من علٍّ
وأنَّ أبا يحيى ويحيى كليهما له عملٌ في دينه مُتَقَبَّلٌ
وأنَّ التي بالجزعِ من بطنِ نخلةٍ ، ومن دائها فلٌّ من الخيرِ معزْلُ
وأنَّ الذي عادى اليهودَ ابنَ مريمَ، رسولٌ أتى من عندِ ذي العرشِ مُرسِلُ
وأنَّ أخوا الأحقافِ، إذ يغذُلونه، يقومُ بدينِ اللهِ فيهم، فيعدلُ

تنص هذه الأبيات على إيمان الشاعر المطلق بالرسالات السماوية السابقة، وهو خضوع لما جاء في الدعوة المحمدية، يتجلى ذلك في تعالق هذه الأبيات مع آي الذكر الحكيم فيحمل البيت الثاني إشارة إلى قصة سيدنا زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، كما في قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾^(٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا

﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِكَ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أَمَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزْكُرِي إِنَّا نَبْتَرُكَ يُغْلِبُ أَسْمُهُ يَجْعَلُ لَّهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَكَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴿١٠﴾ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١١﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٢﴾ يَبْجَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٤﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٥﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٦﴾ ﴿١٥٧﴾: ثم يعلن في البيت الثالث البراءة من عبادة الأصنام مشيرًا إلى العزى، وهي صنم لقريش وبني كنانة، أما البيت الرابع فهو ذكر واضح لسيدنا عيسى - عليه السلام - وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَاشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِيٍّ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴿١٥٨﴾. ويشير في البيت الأخير إلى النبي هود - عليه السلام - مع قومه عاد متكئًا على ما ورد في القرآن الكريم من ذكر لقصته، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ عَنِ اللَّهِ وَأَنبَأُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿١٥٩﴾. كما تشير الأبيات إلى الحديث الشريف في قوله

عليه السلام: "... أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ولقائه ورسله وتؤمن بالله بالبعث الآخر" (١٦٠). وفي رثائه للنبي - عليه السلام - يثنى عليه إذا جاء مصدقاً للأنبياء السابقين في قوله (١٦١):

مَنْ الَّذِي كَانَ نَوْرًا يَسْتَضَاءُ بِهِ، مُبَارَكَ الْأَمْرِ ذَا عَدْلٍ وَإِرْشَادٍ
مُصَدِّقًا لِلنَّبِيِّينَ الْأَلَى سَلَفُوا، وَأَبْذَلَ النَّاسَ لِلْمَعْرُوفِ لِلْجَادِي

وفي هذا لم يخرج عن المعاني القرآنية التي تنص على تصديق رسالة الإسلام للأديان السابقة (١٦٢)، وتكشف عن إيمان الشاعر بالقرآن الكريم، وما ورد فيه من قصص الأقسام السابقين مع أنبيائهم، وتوظيف هذا القصص في تصوير من حاول هجاءه من الشعراء من ذلك قوله (١٦٣):

يَكُونُ إِذْ بَتَّ الْهَجَاءُ لِقَوْمِهِ وَلَا حَ شِهَابٍ مِنْ سَنَا الْحَرْبِ وَاقِدٍ
كَأَشَقَى ثَمُودٍ إِذْ تَعَطَّى لِحَيْنِهِ، عَضِيلَةً أَمَّ السَّقْبِ، وَالسَّقْبُ وَارِدُ
فَوَلَّى، فَأَوْفَى عَاقِلًا رَأْسَ صَخْرَةٍ نَمَى فَرْعُهَا، وَاشْتَدَّ مِنْهَا الْقَوَاعِدُ
فَقَالَ: أَلَا فَاسْتَمْتَعُوا فِي دِيَارِكُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ لَكُمْ وَمَوَاعِدُ
ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ بِتَصْدِيقِ الَّذِي قَالَ رَائِدُ

في هذه الأبيات وظف الشاعر قصة النبي صالح - عليه السلام - مع قومه، فمن حاول هجاء الرسول - عليه السلام - فإنه يجر الهلاك والدمار على قومه، كما فعل أحمر ثمود عندما عقر الناقة فجلب إلى قومه غضب الله - عز وجل - وحل بهم الهلاك، وما كان للشاعر أن يضمن مثل هذه القصص لولا الاتكاء على المعاني القرآنية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فَبَلَغَتْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الْيَوْمَ فَجَاءَهُمْ مِنْهَا نَذِيرٌ﴾ (١٦٤). ونختتم هذا المحور بهذه اللوحة التي يعبر فيها الشاعر عن إيمانه المطلق بالله - عز وجل - وتنزيهه - جل في علاه - عن كل شرك ادعى به المشركون ويختتم هذه الشهادة بإخلاص العبادة وطلب العون، يقول (١٦٥):

وَأَنْتَ إِلَهُ الْحَقِّ رَبِّي وَخَالِقِي، بِذَلِكَ مَا عَمِرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ
تَعَالَيْتَ رَبُّ النَّاسِ عَنْ قَوْلٍ مِنْ دَعَا سِوَاكَ إِلَهًا، أَنْتَ أَعْلَى وَأَمَجَدُ
لَكَ الْخَلْقُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ، فَإِيَّاكَ نَسْتَهْدِي، وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ

وفي هذه اللوحة تشاكل الآيات القرآنية، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمُ بَيْنِينَ وَبَنَيْنَا عَلَيْهِمْ شُجْرًا فَتَوَلَّوْا عَنْهَا وَيَصِفُّونَهَا﴾ (١٦٦). أما البيت الأخير ففيه تعالق مع سورة الفاتحة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (١٦٧).

الخاتمة

لا يخفى على الجميع أن حسان بن ثابت من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا مرحلتين من الحياة، فالمرحلة الأولى هي ما قبل عصر الإسلام (العصر الجاهلي)، تمثل هذه المرحلة بما فيها من الأحداث والحروب التي دارت بين قومه الخزرج وخصمهم الأوس، ونتج عن تلك الأحداث شعر قوي المعنى، جزل اللفظ حتى قيل عنه شاعر الأنصار في الجاهلية، كما أنه قد نظم جميع الأغراض شأنه في ذلك شأن شعراء العصر، أما المرحلة الثانية فهي صدر الإسلام من أجله والاعتزاز به، ومن هنا عدَّ من الشعراء الأوائل، بوب شعره لخدمة الدعوة الإسلامية حتى قيل عنه شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الإسلام، وبقيت أغراض شعره ذاتها سوى أنه وقف مدحه على الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وقصر هجاءه على المشركين، كما قيل عنه: إن شعره ضعف ولان؛ ويرجع ذلك بتأثره بتعاليم الإسلام ومبادئه وابتعاده عن التهويل والمبالغة والكذب.

وفي رحاب الخواطر والمشاعر وبعد هذه الجولة أعود إلى حديث ما ابتدأت به مختتمًا ببحثي هذا اليسير المتواضع والسلام.

الهوامش

- (١) الشعر والشعراء، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: ١/ ٢٢٣، وينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبي الصفدي: ١١/ ٢٧٠، والأنساب، عبد الكريم بن منصور السمعاني: ٤/ ١٤٤، وموسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، عبد عون الروضان: ١١٥.
- (٢) ينظر: حسان بن ثابت، محمد طاهر درويش: ١٣١، وشعراء الرسول، وليد الأعظمي: ١٢، وسير أعلام النبلاء، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: ٣/ ٤٨٧.
- (٣) ينظر: حسان بن ثابت، محمد إبراهيم جمعة: ٢٠، وحسان بن ثابت حياته وشعره، د. سيد حنفي حنين: ٢٦، وشرح ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمن البرقوقي: ١٩.
- (٤) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه، يحيى الجبوري: ٦٢، وسيرة أعلام النبلاء، الذهبي: ٣/ ٤٨٠، وينظر: تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان: ١٥٢.
- (٥) شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ١٩.
- (٦) ينظر: حسان بن ثابت حياته وشعره، إحسان النص: ١٧.
- (٧) ينظر: الحياة الأدبية، الخفاجي: ٢٠٥، وشعراء الرسول، وليد الأعظمي: ١٧.
- (٨) الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ١/ ٢٩٦.
- (٩) الوافي بالوفيات، الصفدي: ١١/ ٢٧٠-٢٧١، وشرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ١٩.
- (١٠) ينظر: اللغة العربية دراسة وتطبيقات، محمد روضان: ٧٤، وتاريخ الأدب العربي، عمر فروخ: ١/ ٣٢٥.
- (١١) حسان بن ثابت، محمد طاهر درويش: ١٤٠.
- (١٢) شرح ديوان حسان بن ثابت، عبد الرحمن البرقوقي: ٢٣٣.
- (١٣) حسان بن ثابت حياته وشعره، وليد الأعظمي: ١٧.
- (١٤) ينظر: حسان بن ثابت، محمد طاهر درويش: ١٤٦.
- (١٥) ينظر: شرح ديوان حسان، البرقوقي: ١٦٩.
- (١٦) أسد الغابة، علي بن أبي الكرم عز الدين بن الأثير: ١/ ٤٨٤.

- (١٧) ينظر: شعراء الرسول، وليد الأعظمي: ٤٣.
- (١٨) ينظر: أسد الغابة، ابن الأثير: ١ / ٤٨٤.
- (١٩) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣ / ٤٨٠.
- (٢٠) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ضمن).
- (٢١) لسان البلاغة، مادة (ضمن).
- (٢٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (ضمن).
- (٢٣) مختار الصحاح، مادة (ضمن).
- (٢٤) المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري: ٨-٩.
- (٢٥) معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس: ٢٠٢.
- (٢٦) مقالات علي جوا طاهر: ٢٨.
- (٢٧) الجم الفلسفي، جميل صليبا: ١١٢.
- (٢٨) ينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور: ٢٥٢-٢٥٣.
- (٢٩) المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين، د. جمعة حسين يوسف الجبوري: ٩.
- (٣٠) ينظر: تاريخ الأدب العربي، عصر فروخ: ٢٢٦.
- (٣١) ينظر: الأدب العربي وتاريخه، محمود مصطفى: ١ / ١٢٦.
- (٣٢) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٣ / ٢٢٤.
- (٣٣) ينظر: شعر حسان بن ثابت، محمد إبراهيم جمعة: ٣٧.
- (٣٤) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٣ / ٢٢٤.
- (٣٥) ينظر: حسان بن ثابت، خلدون الكنعاني: ٥١.
- (٣٦) ينظر: حسان بن ثابت: ٥٠، وشرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٣٦٤، ٤٧٤.
- (٣٧) حسان بن ثابت، خلدون الكنعاني: ٤٢.
- (٣٨) شعراء الرسول، وليد الأعظمي: ٣٤، وينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٦٦.

- (٣٩) شعراء الرسول، وليد الأعظمي: ٣٦.
- (٤٠) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٣٥٥-٣٥٦-٣٥٧، وحسان بن ثابت: ٤٥، وقضايا الأدب الإسلامي والأموي، د. عباس: ١٦٩.
- (٤١) سورة الأحزاب/ ٥٦.
- (٤٢) شرح ديوان حسان، البرقوقي: ١٣٤-١٣٥.
- (٤٣) ينظر: شرح ديوان حسان، البرقوقي: ١٥٧.
- (٤٤) ينظر: الأمالي في الأدب الإسلامي، شوقي ضيف: ٧٨، وشرح ديوان حسان، البرقوقي: ٣٨٠.
- (٤٥) شرح ديوان حسان، البرقوقي: ١٣٧.
- (٤٦) المصدر نفسه: ١٣٧.
- (٤٧) ينظر: حسان بن ثابت، محمد جمعة إبراهيم: ٥٠-٥١.
- (٤٨) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٦٦.
- (٤٩) ينظر: المصدر نفسه: الموضع نفسه.
- (٥٠) ينظر: حسان بن ثابت، إحسان النص: ٧٣.
- (٥١) ينظر: شعراء الرسول، وليد الأعظمي: ٢٠.
- (٥٢) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٣٨٤.
- (٥٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٥.
- (٥٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٣.
- (٥٥) ينظر: شرح ديوان حسان، البرقوقي: ٣٦٠، والسيرة النبوية، ابن هشام: ٣ / ١٣٧.
- (٥٦) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٣ / ١٣٨.
- (٥٧) ينظر: حسان بن ثابت، محمد إبراهيم جمعة: ٨١.
- (٥٨) ينظر: شرح ديوان حسان، البرقوقي: ٣٠٢.
- (٥٩) المصدر نفسه: ٣٠٥-٣٠٦.
- (٦٠) ينظر: شرح ديوان حسان، البرقوقي: ٣٠٧.
- (٦١) ينظر: حسان بن ثابت، محمد طاهر درويش: ٣٦٧.

- (٦٢) ينظر: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، عبد المنعم الخفاجي: ٢٠٧-٢٠٨.
- (٦٣) المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني: ٤٠ / ٤.
- (٦٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محي السنة: ٤٧٨ / ٣.
- (٦٥) الدار المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي: ١٢ / ١٤.
- (٦٦) ينظر: حسان بن ثابت، البستاني: ١٤٤ / ٤.
- (٦٧) ينظر: حسان بن ثابت، محمد طاهر درويش: ٣١٧.
- (٦٨) المعجم لما أشل من تلخيص كتاب مسلم، الشيخ الفقيه الإمام أبو العباس أحمد شيخ الأنصاري القرطبي: ٢٠ / ١٤٣.
- (٦٩) ينظر: حسان بن ثابت، سيد حنفي حنين: ١٨٤.
- (٧٠) أصهب، أي: الحمرة.
- (٧١) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ١١٨-١١٩.
- (٧٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٤٥٠ / ٢.
- (٧٣) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٢٤٨.
- (٧٤) وفيات الأعيان، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان: ٦ / ٣٥١.
- (٧٥) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٥٧.
- (٧٦) ينظر: المصدر نفسه: ٦٣.
- (٧٧) الأمالي في الأدب الإسلامي، د. ابتسام مرهون: ٦٧.
- (٧٨) ينظر: العصر الإسلامي، شوقي ضيف: ٨٢.
- (٧٩) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ١٣٦-١٣٧.
- (٨٠) سورة آل عمران/ ١٠٣.
- (٨١) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٢٠٦.
- (٨٢) ينظر: المصدر نفسه: الموضع نفسه.
- (٨٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٨١-٢٨٢.
- (٨٤) البعر: أي رجيع الإبل.
- (٨٥) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٢٨٢.

- (٨٦) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٣-٣٨٤.
- (٨٧) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٨.
- (٨٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٩.
- (٨٩) حسان بن ثابت، محمد إبراهيم جمعة: ٥٢.
- (٩٠) اللغة العربية، دراسات وتطبيقات، محمد رمضان: ٧٧-٧٨.
- (٩١) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٣٤٦.
- (٩٢) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٢٣٥.
- (٩٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٩٢.
- (٩٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣٨.
- (٩٥) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام: ٤ / ٣٧٨.
- (٩٦) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٤٥٤.
- (٩٧) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ٣٨٥-٣٨٦.
- (٩٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٨٦.
- (٩٩) ينظر: تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون: ٤٠٠-٤٠١.
- (١٠٠) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ١٤٥.
- (١٠١) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٧.
- (١٠٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٣.
- (١٠٣) ينظر: حسان بن ثابت، محمد درويش: ١٠١.
- (١٠٤) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ١٥٣.
- (١٠٥) ينظر: شرح ديوان حسان بن ثابت، البرقوقي: ١٥٥-١٥٧-١٥٨.
- (١٠٦) شرح الديوان: ٣١.
- (١٠٧) سورة آل عمران / ٧.
- (١٠٨) شرح الديوان: ٦٥.
- (١٠٩) سورة الروم / ١٢.
- (١١٠) سورة الروم / ١٤، ٥٥، وسورة غافر / ٤٦، وسورة الجاثية / ٢٧.

- (١١١) شرح الديوان: ٦٦.
- (١١٢) سورة الكهف/ ١٠٧.
- (١١٣) شرح الديوان: ١٨١.
- (١١٤) سورة الطور/ ٢٠.
- (١١٥) سورة الحاقة/ ١٧.
- (١١٦) سورة الغاشية/ ٦.
- (١١٧) شرح الديوان: ١٦٣.
- (١١٨) التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٢٤٦-٢٦٦.
- (١١٩) لسان العرب، مادة (نفق).
- (١٢٠) سورة النساء/ ١٤٠.
- (١٢١) شرح الديوان: ١٢٤.
- (١٢٢) الصحاح، مادة (وحي).
- (١٢٣) أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري: ٢٦.
- (١٢٤) سورة الأنبياء/ ٤٥.
- (١٢٥) شرح الديوان: ٦٢.
- (١٢٦) المصدر نفسه: ٢٠.
- (١٢٧) سورة المطففين/ ١٤.
- (١٢٨) شرح الديوان: ٧٧، وينظر مثل هذا: ١١٥.
- (١٢٩) أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري: ٤٤.
- (١٣٠) شرح الديوان: ١٩، وينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٢٦٤-٢٦٥.
- (١٣١) سورة القلم/ ٢٥.
- (١٣٢) سورة الأحزاب/ ٢٥.
- (١٣٣) سورة الأحزاب/ ٩.
- (١٣٤) شرح الديوان: ١٩٣-١٩٦.
- (١٣٥) ينظر: شرح الديوان: ١٨٨-١٨٩.

- (١٣٦) سورة التوبة / ٤٠.
- (١٣٧) شرح الديوان: ٦٢-٦٣.
- (١٣٨) سورة التوبة / ١٢٨.
- (١٣٩) شرح الديوان: ٣١.
- (١٤٠) سورة الفتح / ٢٩.
- (١٤١) ديوان حسان بن ثابت: ٢٦٣.
- (١٤٢) الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام: ١٢٠، وعن كرم أبي جهل، ينظر: المحير: ١٤٠.
- (١٤٣) المصدر نفسه: ١٥٢.
- (١٤٤) شرح الديوان: ١٦.
- (١٤٥) العمدة في صناعة الشعر ونقده: ١ / ١٤-١٥، وتاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري: ٣٥، وتاريخ النقد الأدبي عند العرب: ٣٤-٣٦. وإن قصد بالكذب والخيال والمبالغة، فإن حسان بن ثابت يرمي إلى الصدق على الحقيقة.
- (١٤٦) شرح الديوان: ١٨٣.
- (١٤٧) المصدر نفسه: ٨٥.
- (١٤٨) شرح الديوان: ٩٨.
- (١٤٩) شعر العقيدة في صدر الإسلام وحتى نهاية ٢٣٠هـ: ٢٦٠.
- (١٥٠) سورة البينة / ٧.
- (١٥١) شرح الديوان: ١٢٤، النعف: أسفل الجبل، ومثله: الخيف.
- (١٥٢) سورة آل عمران / ١١٨-١٢٨.
- (١٥٣) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر: ٦٦.
- (١٥٤) شرح الديوان: ١٢٣، ومثل ذلك ينظر: ١٥، ٣٥، ٦٦.
- (١٥٥) سورة التوبة / ١٠٠، وينظر السورة نفسها / ١١٧.
- (١٥٦) شرح الديوان: ٢٠١، أبو يحيى: زكريا عليه السلام، ويحيى ابنه عليه السلام المعروف عند النصارى بيوحنا المعمدان، الجزع: ريض الوادي حيث تقطعه والتي به

هي العزى وهو صنم قريش وبنى كنانة، بعث له الرسول خالد بن الوليد فدمره، فل من الخير، أي: لا خير فيه، الذي عادى اليهود: عيسى ابن مريم عليه السلام، أخو الحقاف: هود عليه السلام، الأحقاف: دار عاد أرض بظاهر بلاد اليمن.

(١٥٧) سورة مريم / ٢-١٥، وسورة آل عمران / ٥٠-٥٨.

(١٥٨) سورة مريم / ٢٩-٣٤.

(١٥٩) سورة الأحقاف / ٢١-٢٥، وسورة هود / ٥٠-٥٨.

(١٦٠) صحيح مسلم: ١ / ١٣٩.

(١٦١) شرح الديوان: ٦٧، والجادي: طالب الجدوى وهي الأعطية.

(١٦٢) سورة البقرة / ٤١، ٤٧، ٨٩، ٩١، وسورة الأحقاف / ٣٠.

(١٦٣) شرح الديوان: ٧٨. أشقى ثمود: هو قدار بن سالف، أحمر ثمود وعافر ناقة النبي صالح عليه السلام.

(١٦٤) سورة القمر / ٢٧-٣١.

(١٦٥) شرح الديوان: ١٠١.

(١٦٦) سورة الأنعام / ١٠٠.

(١٦٧) سورة الفاتحة / ٥.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم.

١. ابن الأثير، سعد بن أبي الكرم عز الدين، أسد الغابة، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

٢. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، بيروت.

٣. ابن عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط٤، ١٩٨٣ م.

٤. ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الثقافة، لبنان.

٥. ابن هشام، محمد بن عبد الملك، السيرة النبوية، بيروت، ١٩٧٥ م.

٦. أبو الحسن، مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم.

٧. أبو الفضل ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
٨. أبو جعفر البغدادي، محمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)، المحبر، تصحيح: إبلزة ليختن، دار المعارف العثمانية، ١٩٤٢م.
٩. أبو علي القيرواني، الحسن بن رشيق (ت٤٥٦هـ)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٠. أبو عودة، عودة خليل، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، ط١، ١٩٨٥م.
١١. الأعظمي، وليد، شعراء الرسول (صلى الله عليه وسلم)، بغداد، د. ت.
١٢. البرقوقي، عبد الرحمن، شرح ديوان حسان بن ثابت، دار الأندلس، بيروت.
١٣. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، تحقيق: عبد الحليم النجار، مصر، ط١.
١٤. البستاني، حسان بن ثابت، بيروت، ١٩٣٤م.
١٥. بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م.
١٦. الجبوري، يحيى، شعراء المخضرمين وأثر الإسلام فيه، بغداد، ط١، ١٩٦٤م.
١٧. جمعة، محمد إبراهيم، حسان بن ثابت، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م.
١٨. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٧م.
١٩. حسنين، سيد حنفي، حسان بن ثابت حياته وشعره، مصر، ١٩٦٥م، د. ت.
٢٠. حمودي، أيهم عباس، شعر العقيدة في صدر الإسلام وحتى نهاية ٢٣٠هـ، مكتبة النهضة العربية، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

٢١. حنفي، سيد، ديوان حسان بن ثابت، مطابع الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٤م.
٢٢. الخفاجي، عبد المنعم، الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، بيروت.
٢٣. د. عباس، قضايا الأدب الإسلامي والأموي، دار المعرفة، مصر، ١٩٨٩م.
٢٤. درويش، محمد طاهر، حسان بن ثابت، دار المعارف، مصر، د. ت.
٢٥. الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٢٦. الروضان، عبد عون، موسوعة شعراء صدر الإسلام والعهد الأموي، دار أسامة، الأردن.
٢٧. الزبيدي، نضال أحمد باقر، الثنائيات المتضادة في شعر مخضرمي الجاهلية والإسلام، دار الينابيع، ستكهولم، ط١، ٢٠١٠م.
٢٨. سلام، محمد زغلول، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٧٢م.
٢٩. السمعاني، عبد الكريم منصور، الأنساب، بيروت.
٣٠. السيوطي (ت ٩١١هـ)، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار هجر، مصر.
٣١. الصفار، ابتسام مرهون، أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، دار جهيئة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٥.
٣٢. الصفار، ابتسام مرهون، الأمالي في الأدب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١١م.
٣٣. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، الوافي بالفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤط، وترعي المصطفى، بيروت.
٣٤. ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، دار المعارف، مصر، ط٣، ٢٠٠٦م.

٣٥. الطبراني، أبو القاسم (ت٣٦٩هـ)، المعجم العربي، تحقيق: حميد بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ط٤.
٣٦. عون، محمد، وإبراهيم، محمد، اللغة العربية دراسات وتطبيقات، مكتبة الفلاح.
٣٧. فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة العباسية، بيروت.
٣٨. القواطبي، الشيخ الفقيه الإمام أبو العباس أحمد بن الشيخ المرحوم الفقيه أبي الحفص عمر بن إبراهيم الحافظ الأنصاري، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٠١٠.
٣٩. الكناني، خلدون، حسان بن ثابت، دمشق، ١٩٤٣م.
٤٠. مصطفى، محمود، الأدب العربي وتاريخه في عصري الإسلام والدولة الأموية، مصر، ط٢، ١٩٣٧م.
٤١. المهدي، عبد الرزاق، البغوي الشافعي، دار التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٤٢. النص، إحسان، حسان بن ثابت حياته وشعره، لبنان، د. ت.
٤٣. هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، بيروت، د. ت.